الإمام الحسن عليه السلام... مقدمة لثورة الطف

الباحثة
أزهار كريم الطرفي
جامعة البصرة ـ كلية التربية الرياضية

الفصل الأول

مشكلة البحث:

يأتي سبب اختيار الباحثة لهذا المحور وهو" الإمام الحسن عليه السلام مقدمة لثورة ألطف" لما له أهمية في هذا الوقت والأمة الإسلامية تتعرض إلى هجمات من التكفيريين والوهابيين والدواعش.

لهذا فان مشكلة البحث تكمن بان الصفات والمميزات التي يتصف بها الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في صلحه مع معاوية وتنازله عن السلطة ويعتبر هذا رمزاً للسلام والسلم في تلك وذلك تحاشيا من تعرض المسلمين الشيعة وغطرسة معاوية وزبانيته، هذا من جانب ومن جانب أخر تعرض الإمام الحسن عليه السلام إلى الضغوط والنقد الجارح بسبب صلحه مع معاوية لهذه الإسلام كلها برزت مشكلة البحث والتطرق إلى مفرداته.

أهمية البحث:

تعود أهمية البحث والحاجة إليه بمعرفة حيثيات مواجهة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام الصعوبات والمشاكل في حياته سواء أكانت من المقربين او الأصدقاء او الأعداء او من الشيعة أنفسهم لذلك تأتي أهمية البحث عن كيفية تخلص الإمام الحسن عليه السلام من المشاكل التي تعرض لها ومن الغدر والمكر والاغتيالات من قبل رجالات معاوية وما يمتلكه من قوة وجيش ومن زبانية وجواسيس على الإمام

الثاني من أبناء الإمام علي عليه السلام كما تأتي أهمية البحث لذكر مخاوف معاوية من وجود الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في الساحة في ذلك الوقت لما يمتلكه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام من صفات مميزة كالشجاعة والعفة والحكمة والموعظة الحسنة والإيثار للتأثير في نفوس المسلمين وخاصة الشيعة منهم وهذه الصفات تجعلها مقدمة حقيقية لثورة الإمام الحسين عليه السلام كون الإمام الحسين عليه السلام هو الامتداد لثورة الإسلام الكبرى والدفاع عن الحق والعدالة ضد الظلم والاستبداد الأموي والعباسي لذلك كانت تلك الصفات التي يتميز بها الإمام الحسن عليه السلام شكلت العديد من المخاوف لمعاوية وزبانيته وجواسيسه ولهذا كله ولأسباب عديدة أخرى.

ومن جانب أخر تأتي أهمية البحث لكشف جواسيس معاوية من داخل بيت الإمام الحسن عليه السلام والمتمثلة في وضع السم للإمام الحسن المجتبى عليه السلام من قبل الملعونة جعدة بنت الأشعث حيث استشهد إمامنا أرواحنا له الفداء بعد ان تقطعت أوصاله على يدها لعنة الله عليها.

أهداف البحث:

يهدف البحث الى:

- الكشف عن الظروف الشديدة التي اضطرت الإمام الحسن عليه السلام الى تجنب القتال مع معاوية واعتزال السلطة وذلك لمعرفة الإمام المجتبى عليه السلام بالغدر والخيانة من اقرب الناس اليه.
- الكشف بان الكثير من أعيان المسلمين وقادتهم قد أصيبوا بصدمة عنيفة بسبب صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية.
- الكشف عن تفاصيل هذا الحادث لما تنطوي عليه نفوس الامويين من حقد دفين على الإسلام ودعاتهم.

- معرفة حقائق الإمام الحسن عليه السلام كونه يعرف مسبقا لهذا الصلح كما ان هذا الصلح وبنوده يكشف حقيقة معاوية وغدره بالإمام الحسن المجتبى عليه السلام.
- الكشف عن المظلومة التي عاشها الإمام الحسن المجتبى عليه السلام من اقرب الناس إليه ومن المستشرقين اللذين اعتمدوا على نقدهم وكلامهم الغير منطقي ضد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام معتمدين بذلك على الروايات العباسية والكتّاب والمؤلفين والمؤرخين اللذين لا يمتلكون الضمائر الحية.

حدود البحث:

يمثل البحث كافة المسلمين في العالم حيثما وجدوا من الشيعة والموالين والموالين لأهل بيت النبوة والرسالة من شيعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كون الإمام الحسن عليه السلام هو أمام مفترض الطاعة من قبل جميع المسلمين من الشيعة وغيرهم من المحبين والموالين لهم.

الفصل الثاني

الإطار النظري والدراسات السابقة

المبحث الأول

هل إن صلح الإمام الحسن هو مقدمة لثورة الحسين عليهما السلام؟

في ما قاله المفكرون المتأخرون من الإمامية، ولعله قد أصبح من الضروريات في الفكر الشيعي، بان صلح الحسن عليه السلام هو مقدمة لثورة الحسين عليه السلام، فهل الأمر كذلك أم لا؟. وما هو الوجه في هذه المقدمية؟.

وينبغي الالتفات هنا إلى إننا لسنا مضطرين حسب القواعد الشرعية المعروفة أن نقول بهذه المقدمية، بل يكفي فيه ما عليه المسلك التقليدي الإمامي القديم من إن كل منهما قد رأى المصلحة في زمانه ومكانه المعينين أن يقوم بما قام به. وان

المصلحة تلقاها بالإلهام عن ربه أو بالأمر من جده رسول الله في ذلك حين قال، إذن فكل منهما قد أدى المصلحة الوقتية التي رآها في زمانه بغض النظر عن الآخر.

وخاصة إذا التفتنا إلى إن هذه المقدمية إنما يصح قولها وإثباتها، إذا أحرزنا ردود الفعل والتصرفات من قبل جميع الناس، من أصدقاء وأعداء وغيرهم، بحيث تحصل كما حصلت فعلا. مع إن هذا لم يكن محرزا في عصر الإمام الحسن عليه السلام بما فيه حصول يزيد على الخلافة، وغير ذلك كثير.

فإن قلت: انه كان معلوماً في علم الله سبحانه، وكان يعلمه الحسن عليه السلام.

قلنا: نعم، إلا انه يمنع منهما مانعان:

أحدهما: الاختيار المعطى للإنسان من أصدقاء وأعداء، ولا نقول بالجبر، فإذا كان الاختيار موجودا كانت الاحتمالات عديدة، وإذا كانت الاحتمالات عديدة كان المستقبل مجهولا.

ثانيهما: احتمال حصول البداء، فان كثيرا من الأشياء ـ من أول الخليقة إلى آخرها ـ نؤمن بحصول بالبداء فيها. فقد تحصل حوادث غير متوقعة. فإذا كان الولي يعلم إن التسلسل المعين سوف يكون إلى أن يقتل الحسين عليه السلام، فان هذا كله قابل للبداء، فإذا كان كذلك كان المستقبل مجهولا.

لولا آية في كتاب الله وهي قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[1].

وفي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام والدهما انه قال: (لأخبرتكم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة)[2].

فإن قلت: فان الفكرة العامة للمجتمع كانت واضحة في ذهن الحسن عليه السلام، وانه سوف تؤدي نتائجه إلى ثورة الحسين عليه السلام ومقتله، ووفق هذا أجرى الصلح.

قلنا: هذا نظرا إلى المصالح الدنيوية، والجانب الظاهري من المجتمع، ولا شك إن الإمام الحسن عليه السلام نظره أعمق من ذلك، فهو يعرف الواقعيات بما هي. وإذا تعمقنا أكثر لم نعرف كيف ستكون النتيجة.

فإن قلت: فان لكل نتيجة سبب ولكل سبب سبب وهكذا. فيتعين أن يكون صلح الإمام الحسن عليه السلام واقعا في سلسلة علل ثورة الحسين عليه السلام.

قلنا: نعم، إلا إن هذه العلل غير خاصة بذلك، بل إن تولي يزيد الخلافة من جملة عللها، وكذلك إصراره على أخذ البيعة، وكذلك تعيينه لعبيد الله بن زياد، وغير ذلك كثير.

مضافا إلى إن هذا أمر كان يمكن إدراكه حين حركة الحسين عليه السلام أو بعدها، وأما قبلها فلم يكن متيسرا.

وهل بالإمكان القول: بان الحسن المجتبى عليه السلام صالح معاوية لأجل أن يتسبب في قتل أخيه الحسين عليه السلام بعد عشرة سنوات مثلا؟.

فإن قلت: إن الحسن عليه السلام كان يعلم بوجود المصالح العظيمة التي سوف تترتب على حركة الحسين عليه السلام، وثورته، ومن هنا كان راضيا بمقتل الحسين عليه السلام، كما إن الحسين عليه السلام كان راضيا بمقتل نفسه. فلا يبعد أن يكون قد فعل الإمام الحسن صلحه من اجل أن يتسبب إلى قتل الحسين عليه السلام،ومن اجل أن يتسبب إلى المصالح المترتبة على مقتل الحسين عليه السلام.

قلنا: نعم، إلا إن هذا الوجه غاية ما يثبت: العلم به، والرضا به. وأما تسبيبه العمدي من اجل ذلك فلا. بل كان من اجل المصالح الوقتية في زمانه عليه السلام، ولو قلنا بالتسبيب فإنما هو جزء العلة التكوينية في مجموع التسبيبات التي أدت إلى مقتل الحسين عليه السلام فان لكل شيء علة على أية حال.

فإن قلت: انه لولا صلح الحسن عليه السلام لما حصلت ثورة الحسين عليه السلام لأنه جزء

سببي مهما قل أو كثر. فهو مسبب بمعنى من المعاني ولو فلسفيا إلى ثورة الحسين عليه السلام كما إن الأسباب الأخرى موجودة، فيلزم من عدمه عدمه، أي يلزم من انعدام جزء العلة زوال المعلول، مهما كان جزء العلة ضئيلا. فيصدق فلسفيا انه إذا لم يصالح الحسن عليه السلام معاوية لما حصلت ثورة الحسين عليه السلام وإذا لم تحصل ثورة الحسين عليه السلام لم تحصل نتائجها المحمودة، ومصالحها الكبيرة والعليا.

قلنا: إن جوابه من عدة وجوه:

الوجه الأول: إن هذا التعبير: وهو انه لولا صلح الحسن عليه السلام لما حصلت ثورة الحسين عليه السلام ليس بأكيد، فلربما يجعل الله سببا آخر بديلا عن هذا السبب.

الوجه الثاني: إن المفكرين الأماميين يقولون: قد حصل شيء ناتج من صلح الحسن عليه السلام حتى استعمله الحسين عليه السلام في وقته فهل حصل شيء من صلح الحسن عليه السلام؟. وإنما هو مجرد صلح على ورق، فان معاوية صعد بعده على المنبر وقال: (ولقد عاهدت الحسن بأمور وها هي تحت قدمي). فان معاوية لم يلتزم به. فإذا لم ينتج شيئاً فكيف يقولون: انه مقدمة لحركة الحسين عليه السلام؟.

الوجه الثالث: لو تنزلنا وقبلنا انه لولا صلح الحسن عليه السلام لم تحصل ثورة الحسين عليه السلام فقد نقول: انه لا باس أن لا تحصل ثورة الحسين عليه السلام، فيبقى الحسين عليه السلام وينفع الناس، وتترتب على ذلك مصالح أخرى كما تترتب على وجود سائر الأئمة عليهم السلام. والشيء الذي نعرفه إن الله تعالى يحفظ دينه على كل حال، سواء صالح الحسن عليه السلام معاوية أم لا. وسواء ثار الحسين عليه السلام على يزيد أم لا.

فإن قلت: انه لولا صلح الإمام الحسن عليه السلام لقتل كل الشيعة، ولأجل ذلك حصل الصلح. فإذا قتلوا لم تحصل ثورة الحسين عليه السلام لكونها سالبة بانتفاء الموضوع، ولم تحصل أي نتائج خير بعد ذلك. إذن فصلح الحسن عليه السلام تسبيب إلى حركة الحسين عليه السلام.

قلنا: إن هذا الوجه وان كان مشهوراً ومركوزا في أذهان المتشرعة، إلا أنه

وحده لا يكفي، ولا دليل عليه، وذلك لأكثر من وجه واحد:

الأول: إننا نرى إن معاوية نقض العهد ولم يستطع مع ذلك قتل كل الشيعة.

الثاني: إن الله سبحانه هو الحافظ لهم بصفتهم ممثلين للحق، كما قال جل وعلا:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٣]، وهذا ثابت سواء صالح الحسن عليه السلام معاوية أم لا.

الثالث: إن المظنون أن يكون المراد من الصلح تقليل الظلم عما هو موجود، لا دفع الزائد من الظلم المحتمل من معاوية. فان معاوية كان ذكيا ويدرك إن الزائد ليس في مصلحته.

مضافاً إلى أمر آخر مهم، وهو يتوقف على مقدمة وحاصلها: إن لكل من هذين الإمامين الجليلين أهداف في عملهما بلا شك، أو بتعبير آخر أدق أن نقول: إن لله سبحانه أهدافا من عملهما، وهما عالمان بتكليفهما الشرعي وقائمان به، لنيل رضا الله وطاعته. فالهدف الحقيقي إنما هو منسوب إلى الله تعالى. فإذا نظرنا إلى مجموعة الأهداف المحتملة للحسن عليه السلام، والأهداف المحتملة للحسين عليه السلام نرى إن نسبة هذه الأهداف بعضها إلى بعض على ثلاث مستويات:

المستوى الأول: أن يكون الهدفان متباينين، لا ربط لأحدهما بالآخر، فلا يصح أن يكون أحدهما مقدمة للثاني، كما هو الحال على التصور المشهوري للهدفين، فان هدف الحسن عليه السلام هو حفظ الشيعة وعنصر الحق وإلا لأبادهم الظالمون، ولا اقل من إن من المحتمل أن يقتل نفس الحسن والحسين عليهما السلام. فإذا قتلا يندثر الحق.

وهذا ما لا يراد بكل صورة، والأئمة عليهم السلام قد قدموا كل المقدمات وتنازلوا جملة من التنازلات وضحوا جملة من التضحيات في سبيل حفظ أهل البيت عليهم السلام واستمرار الأئمة عليهم السلام.

وأما أهداف الحسين عليه السلام على الأطروحة المتعارفة فهو إبراز أهمية الدين، وإمكان التضحية له بهذا المقدار العظيم. فهما متباينان باصطلاح المنطق، وان كانا مشتركين في جانب طاعة الله تعالى، فلا ربط لأحدهما بالآخر ليكون مقدمة له.

المستوى الثاني: أن يكون الهدفان متساويين أو قل إن أحدهما عين الآخر، فلا يصح أن يكون أحدهما مقدمة للآخر بدليل على انه لو كان العكس لصحت المقدمية أيضاً، كل ما في الأمر إن أحدهما قبل الآخر وجودا في خلقة الله سبحانه، وقد تشاركا لإيجاد هدف واحد فقط. وهذا ينطبق على عدة أهداف محتملة أو على عدة أطروحات مثل: فضح خيانة ولاإنسانية المعسكر الأموي، وكل أعداء الحق على مدى التاريخ، وبذلك يفشل الخصم على مدى التاريخ عن كسب الأنصار له والدعوة إلى نفسه عن طريق الجدل النظري، وسيكون الحق النظري في جانبهما بوضوح ما لم يكن الفرد طالباً للدنيا.

ومثل: أن يكون هدفهما معا إبراز أهمية الدين بدرجة عالية، بحيث لا يعتنى بإزائه بالأمور الشخصية مهما كانت واضحة اجتماعيا ودنيويا. كالتنازل إلى الأعداء من ناحية أو الإبادة من ناحية أخرى. وهما أقوى الحوافز الدنيوية التي قد تقع حجر عثرة دون انتصار الدين خلال الأجيال. فقد تصدى سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله بأنفسهما لدحض هذا الاحتمال.

وهذا هدف مشترك ولكن كل واحد منهما إعطاءه في صورة غير الصورة الأخرى، فمثلا نقول إن الصورة التي أعطاها الحسن عليه السلام انه لا يمكن أو لا ينبغي الحفاظ على هذا التكبر والسمعة، فحتى لو سحقت السمعة بالأرجل فهي في سبيل إرضاء الله تعالى، أما الصورة التي أعطاها الحسين عليه السلام فهي انه لا ينبغي الحفاظ على الذات و لا على المال ولا على الأسرة إن كان ذلك يرضي الله تعالى، وهذا لا يعني المقدمية، فلو كان العكس حاصلا لامكن حصول نفس الهدف.

المستوى الثالث: أن يكون هدف الإمام الحسن عليه السلام تأصيل هدف يصلح أن

يكون إعدادا واستقرارا أو مقدمة لثورة الحسين عليه السلام وهذا الحال أيضاً ينطبق على بعض الأطروحات:

منها: أن يكون هدف الإمام الحسن عليه السلام حفظ الشيعة، أو قل حفظ اكبر عدد منهم، وحينئذ تم حفظهم بالصلح، فاستطاع الإمام الحسين عليه السلام أن يقدمهم في ثورته وحركته. وهذا هو أوضح الاتجاهات المركوزة في أذهان المتشرعة التي تتحدث عن المقدمية. ولكن يمكن الجواب عنه: بان هذا صحيح لو كان الصلح قد انطبق فعلا، أما بعد أن رفضه معاوية فلا معنى لحصوله.

فإن قلت: فان الحسن عليه السلام قد سعى بمقدار وسعه وإمكانه لأجل ذلك وهو معاهدته المعروفة، وليس في وسعه أخذ القبول الكامل والمستمر من خصمه.

قلنا: نعم، ولكن ذلك لا يكفي للمقدمية، لوضوح إن هدف الإمام عليه السلام ينبغي أن يحصل لتحصيل نتيجته، وهي ثورة الحسين عليه السلام، وأما إذا حصلت الخيانة من الطرف الآخر ولم يحصل الهدف إذن فهذه المقدمية لم تحصل عمليا وان حاولها الحسن عليه السلام.

ومنها: تربية إيمان المؤمنين من قبل الإمام الحسن عليه السلام لأجل أن يحصل جيل متكامل يستطيع أن يجاهد بين يدي الحسين عليه السلام.وهذا النحو من الفهم له نحوان من الانطباق: انطباق مطابقي وانطباق التزامي. أما الانطباق المطابقي فهو ظاهر كلام من يقول بذلك، من حيث انه يرى إن الصلح بنفسه أوجب زيادة درجات الإيمان للمؤمنين في المجتمع بحيث اعد لثورة الحسين عليه السلام إلا إن هذا قابل للمناقشة من عدة جهات:

الجهة الأولى: انه عهد اجتماعي واتفاق سياسي، وليس موعظة إيمانية ليلزم منه ذلك.

الجهة الثانية: انه لو كان منطبقا ومنفذا لصح، ولكنه لم ينطبق أطلاقاً.

الجهة الثالثة: انه لو كان اثر في هداية الناس لنجحت ثورة الحسين عليه السلام دنيويا وسيطر على يزيد وأخذ الحكم، ولما خانه الشيعة بالكوفة، ولما خانوا مسلم بن عقيل عليه السلام وقالوا لأفرادهم: ما شأنك والدخول بين السلاطين، وكل ذلك لم يحصل. إذن فلم يكن هو الهدف الحقيقي للإمام الحسن عليه السلام، لاستحالة تخلف الهدف الحقيقي المقصود كما قلنا في كتاب الأضواء.

وأما الانطباق الالتزامي فباعتبار انه أوجد بعض الأمور التي أوجبت زيادة البلاء ضد المؤمنين، كرد فعل معاكس من قبل المعسكر المعادي ونحو ذلك. وكل بلاء دنيوي فهو موجب لتكامل البعض لا اقل. فقد حصل الإعداد في التكامل لثورة الحسين عليه السلام عن هذا الطريق.

وجوابه:

أولاً: إن ذلك ليس مقصود من قال بأن صلح الحسن أعد لثورة الحسين بإيجاده زيادة درجات إيمان المؤمنين.

ثانياً: إن هذا الإعداد غير خاص به، بل كل الحوادث المضادة للمؤمنين، والتي كانت تحدث يومئذ كفيلة بذلك ابتداء بيوم قتل الحسن عليه السلام وغير ذلك. السقيفة فما بعده من قتل الزهراء

إذن صح ما قلناه من: إننا غير مضطرين للإيمان بهذه المقدمية، أو قل إنها مما لا برهان عليها من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا عقل. ولكننا مع ذلك لا نستطيع نفيها إذ لا برهان على عدمها أيضاً، فتبقى أطروحة محتملة طيبة على أي حال.

ونستطيع أن نطبق احتمال ذلك على كل الأهداف التي ذكرناها في المستويات الثلاث السابقة.

أولاً: إذا كان هدف الإمام الحسن عليه السلام حفظ الشيعة عن الإبادة فيمكن أن يكون الغرض له حفظهم لنصرة الحسين عليه السلام.

أما بمعنى أن لا يبادوا جميعا فتكون حركة الحسين عليه السلام سالبة بانتفاء الموضوع، أو بمعنى أن يبقى منهم عدد كبير ينصر الحسين عليه السلام في طف كربلاء.

ثانياً: انه إن كان هدف الإمام الحسن عليه السلام فضح المعسكر الآخر، كما هو هدف الحسين عليه السلام، كما قلنا في أطروحة سابقة، فالأول منهما متقدم خِلقيا وتاريخيا بمشيئة الله تعالى على الآخر، فهو بمنزلة المقدمة للآخر. وان صح انه لو كان العكس لكانت ثورة الحسين عليه السلام مقدمة لصلح الحسن عليه السلام إلا أن الحسن عليه السلام ما دام مخلوقا في الجيل الأسبق، إذن فله المقدمية والإعداد.

ثالثاً: إننا نقول نفس الشيء فيما إذا كان هدفهما معا إبراز أهمية الدين وعظمته إزاء تحمل العناوين الثانوية والبلاء الدنيوي. فمن يكون متقدما زمانا من المحتمل أن يكون معدا لمن هو متأخر عنه.

رابعاً: أن يكون هدف الإمام الحسن عليه السلام تربية إيمان المؤمنين ليشاركوا في ثورة الإمام الحسين عليه السلام وقد حصل في البعض، كهؤلاء الذين جاءوا معه وقتلوا معه وهذا يكفي. ونحن نعلم إن عمق الإيمان لا يمكن أن يحصل للكثيرين إلا نادرا.

وهناك أطروحات أخرى للمقدمية نستطيع أن نسميها سلبية، لم يذكرها المشهور:

أولاً: أن يقال: إن صلح الحسن عليه السلام أوجب رد فعل في المعسكر الآخر أو زيادة في الظلم والاضطهاد بحيث حصلت المصلحة في نظر الحسين عليه السلام لبدء حركته.

ثانياً: أن يقال: إن الامتحان الإلهي الذي أوجد صلح الحسن عليه السلام وان أوجب قوة الإيمان لدى البعض، إلا انه أوجب ضعفه في الكثيرين، بل في عدد ممن كان يعد نفسه من الخاصة والموالين. ومن هنا ضعف إيمان الشيعة نسبيا، فحصلت المصلحة لثورة الحسين عليه السلام ليريهم أهمية الدين والإيمان.

ثالثاً: إن صلح الحسن عليه السلام كان (ظاهرا) من التنازل لمعاوية بالملك والإمامة، كما عليه المسلك التقليدي لدى العامة، حيث إنهم يعتبرون الحسن عليه السلام إماما خامسا لكنه تنازل إلى معاوية وانقطعت إمامته. إذن سيكون ذلك إقرارا للمسلك العام للخلافة المدعاة لمعاوية وأمثاله، أو قل إقرارا لخلافة الأمويين عموما، وان لم يكن ذلك مقصودا حقيقة. فحصلت المصلحة لثورة الحسين عليه السلام في أن يبرهن عمليا على شجب ذلك وإنكاره في المذهب.

رابعاً: إن صلح الحسن عليه السلام ربما أوجب ظاهرا إن الموالين للائمة عليهم السلام ضعفاء ومتخاذلين، إلى حد يكونون على استعداد للمصالحة مع عدوهم بالرغم من كونهم يعتقدون به معتديا ظالما، فاقتضت المصلحة للحسين عليه السلام إثبات التجربة بخلاف ذلك يقينا.

المبحث الثاني

اضطرار الإمام الحسن عليه السلام للصلح مع معاوية

قد يتساءل البعض: لماذا أقدم الإمام الحسن المجتبى عليه السلام على محاربة معاوية بحرب محكومة بالفشل حسب الظاهر ثم وافق بعد ذلك بالصلح مع معاوية؟؟ أن الثوار والنهضويين بحاجة دائما إلى الحركة والفعالية حتى يتمكنوا من توعية المجتمع فكان لابد من التحرك لأجل:

١- جذب العناصر الصالحة كي يطمئن الناس إلى أن هذا الشخص أو هذه الجهة لها القدرة على العمل والنهوض والحركة وبالنتيجة فأنهم سيلتحقون بها.

٢- كشف عيوب العدو أو الجبهة المخالفة ومدى قوتها وقدرتها كما يلزم فضحها وبيان مساوئها كي يتفرق الناس الذين التفوا حولها.

لذلك قام الإمام الحسن عليه السلام بهذه الخطة وكان تحركه هذا سببا أدى بالتالي إلى فضح معاوية وإظهار حقيقته للناس في ذلك الوقت بل للأجيال القادمة أيضا لان حقيقة معاوية كانت خافية على الناس وكان هذا الفضح لمعاوية بعد قبول الصلح لان معاوية بعد توقيع عقد الصلح اخذ ينقض العهد ويخالف الشروط وصعد على المنبر وأعلن صراحة بقوله "يا أهل الكوفة.. أتروني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج وقد علمت إنكم تصلون وتزكون وتحجون ولكنني قاتلتكم لأتآمر عليكم وعلى رقابكم وقد آتاني الله ذلك وانتم كارهون ألا أن كل مال ودم أصيب في هذه الفتنة فمطلول وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين"(٤).

إن مثل هذه المواقف اللا إنسانية والملحدة لا تظهر إلا في مهب تلك العواصف التي تفضح كل من تلبس بلباس الصلاح، وعلى هذا الأصل قام الإمام الحسن عليه السلام بداية بحرب مع معاوية مع علمه بان المعركة ستنتهي بالصلح في الظاهر وانه لن يربح الميدان، فالإمام الحسن عليه السلام إضافة إلى علم الإمامة وارتباطه بالله عز وجل كان من الناحية العادية في قمة العلم والمعرفة والدراية والسياسة والحكمة فقد قام عليه السلام بالحرب لكي يحقق الشرطين أعلاه، وبالفعل قد تم له ذلك. لذلك فان صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية كان حربا - في الحقيقة- ولكنها حربا باردة لأنها كشفت زيف معاوية أمام الأمة وأبطلت حججه وأسطورته في أذهان الكثيرين من المغفلين، فان الأمة كانت مبتلاة بمرض الشك، حيث كانت الأمة تشك في طبيعة الصراع الذي كان ناشبا بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية وتتصوره صراعا من اجل حيازة السلطة وليس صراعا بين الحق والباطل.

وإن الإمام الحسن عليه السلام لا ينهض بالأمر إلا عندما تتوافر لديه قوة ومقدرة تكفي لإنجاح مهمته وفق المقاييس المعقولة، ولا يشترط في هذه القوة أن تكون اكبر من قوة العدو من الناحية المادية بل يكفي أن تكون متوافرة على شروط القوة المعنوية الأخرى، والإمام الحسن عليه السلام لم يحصل على هذه القوة حتى بالحد الأدنى الذي يمكن أن تستمر بواسطته المجابهة ولهذا اضطر إلى توقيع الصلح مع معاوية.

وقد قال عليه السلام في خطاب له يخاطب أصحابه: "أما والله ما ثنانا عن قتال أهل الشام ذلة ولا قلة ولكن كنا نقاتلهم بالسلامة والصبر فشيبت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع وكنتم تتوجهون معنا ودينكم أمام دنياكم وقد أصبحتم الآن ودنياكم أمام دينكم، وكنا لكم وكنتم لنا وقد صرتم اليوم علينا ثم أصبحتم تندبون قتيلين قتيلا بصفين تبكون عليه وقتيلا بالنهروان تطلبون بثأره فأما الباكي فخاذل وأما الطالب فثائر وان معاوية قد دعا إلى أمر ليس به عز ولا نصفه فان أردتم الحياة قبلناه منكم وأغضضنا على القذى وان أردتم الموت بذلناه في ذات الله وحاكمناه إلى الله"[٥]. فنادى القوم بأجمعهم: بل البقية والحياة.

ولما طعن الإمام الحسن عليه السلام بالمدائن أتاه زيد بن وهب الجهني فقال له: ما ترى يا ابن رسول الله فان الناس متحيرون[٦]؟ فقال الإمام عليه السلام: "أرى والله معاوية خير لي من هؤلاء يزعمون أنهم لي شيعة ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي واخذوا مالي والله لأن آخذ من معاوية عهدا احقن به دمي وآمن به في أهلي خيراً من أن يقتلوني فتضيع أهل بيتي وأهلي، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلما فو الله لأن أسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير أو يمن علي فتكون سبة على بني هاشم الى آخر الدهر ومعاوية لا يزال يمن بها على الحي منا والميت"[٧]. ان هذا النص والذي قبله يعطيانا فكرة واضحة عن مدى الصعوبات التي كانت تواجه الإمام الحسن عليه السلام والتي لم تترك أمامه خياراً سوى المصالحة مع خصمه اللدود ليس اضطرارا وحسب وإنما دفعا لخصمه نحو الزاوية الحرجة التي يضيق بها فكر وسلوك معاوية.

شروط الصلح وملابساته:

لقد كان صلح الإمام الحسن عليه السلام من القضايا السياسية الخطيرة في تاريخ الإسلام والشيعة. يكفي أن نعرف إن عيونا من أصحاب الإمام الحسن عليه السلام كان لها موقف سلبي من الصلح فبعض من أصحاب الإمام عليه السلام حاول جادا أن يخرق الصلح ويواصل الحرب ضد معاوية، فهذا عبيدة بن عمرو يدخل على الإمام

الحسين عليه السلام ليقول له: "أبا عبد الله شريتم الذل بالعز وقبلتم القليل وتركتم الكثير.. دع الحسن وما أرى من هذا الصلح واجمع إليك شيعتك من أهل الكوفة وغيرها وولني وصاحبي هذه المقدمة فلا يشعر ابن هند إلا ونقارعه بالسيوف"(٨).

ودخل عليه سليمان بن صرد الخزاعي في المدينة وقال له: "السلام عليك يا مذل المؤمنين". ومن هذا القبيل كثير ولكن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بقي مصرا على موقفه - أي الصلح - والوفاء به.

أهم بنود صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية

١- ان يعمل فيهم معاوية بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله.

٢- ليس لمعاوية أن يعهد من بعده عهدا بل تكون الخلافة من بعده للإمام الحسن عليه السلام فان حدث حادث فللحسين عليه السلام.

٣- ان الناس آمنون حيث كانوا من ارض الله في شامهم وعراقهم.

٤- إن أصحاب علي عليه السلام وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم.

٥- إن لا يبغي معاوية للإمام الحسن عليه السلام ولا لأخيه الحسين عليه السلام غائلة سرا ولا علانية.

وإذا كان الحسن عليه السلام بارعاً في تخطيطه الذي آلف فيه بدقة بين التكتيك والإستراتيجية، بين الوسيلة والغاية، فانه كان أكثر براعة في خطابه السياسي بعد الصلح، لقد شخص الإمام الحسن عليه السلام هدفاً رئيسياً من أهداف معاوية وذلك الهدف هو تسقيط أمير المؤمنين عليه السلام، فقد بدأ معاوية وبنحو مدروس ومحسوب خطة تستهدف تشويه شخصية علي عليه السلام باعتباره رمز الخط الشيعي سواء على صعيد علاقته بالنبي صلى الله عليه وآله أو تأريخه الجهادي أو سيرته الذاتية، وجند لذلك رجالا

أكفاء في الفن الدعائي، وفي ذلك يقول احد الكتاب: " لقد كان الهم الأول لمعاوية بعد أن تغلب سياسيا، هو القضاء ثقافيا واجتماعيا على أبناء علي ومن يواليهم".

وقد تمادى أبطال هذه العملية في تسقيط الإمام علي عليه السلام حتى قيل: "انه لص من لصوص الفتن".

لقد أدرك الإمام الحسن عليه السلام بثاقب نظره أن هذه الحملة تنم عن خطة موضوعة لإنهاء شخصية الإمام علي عليه السلام في الضمير المسلم، وان إنهاء دور علي عليه السلام يؤدي الى إقصاء تراث رسول الله صلى الله عليه وآله من لوحة الحياة، لأن علي عليه السلام هو ناقل هذا التراث وهو الذي بشر به بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وان القضاء على علي عليه السلام يعني القضاء على الإسلام كليا كما هو واضح.

لقد جعل الإمام الحسن عليه السلام جوهر خطابه السياسي هو الدفاع عن علي عليه السلام، بل لا نبالغ إذا قلنا إن جوهر الخطاب الشيعي في تلك الفترة كان هذا الدفاع المصيري.

وقد كان الإمام الحسن عليه السلام هو المنظر الدقيق والعميق لهذا الدفاع فهو إمام وابن إمام، أي العارف الحقيقي بمقام ومنزلة ودور علي عليه السلام. لقد حافظ عليه عليه السلام من خلال حفاظه على إمامته وإمامة أخيه الحسين عليه السلام من بعده.

لقد ذكرنا فيما سبق الأهداف القريبة والآنية للصلح أما الهدف الآخر لصلح الإمام الحسن عليه السلام وهو الأهم والأبعد هو الذي مهد به الإمام الحسن عليه السلام لليوم الموعود والدولة العالمية والذي أشار اليه السيد الصدر في الموسوعة المهدوية وهو: أن الإمام الحسن عليه السلام حين يرى أن الحق متمثل فيه وفي جماعته وأنهم هم الحاملون الحقيقيون للأطروحة العادلة الكاملة ويرى - الى جانب ذلك - ان المنازلة العسكرية بعد الخيانات التي حصلت في جيشه والإشاعات الهدامة التي انبتت فيه يرى أن المنازلة مستبطنة للقضاء عليه وعلى كل المؤمنين به واستئصالهم، وهذا يعني انعدام جانب الحق في العالم وبقاء معاوية على مسرح الإسلام ليدعي

انه هو الحامل الحقيقي للإسلام، وبذلك تنطمس تماما الأطروحة العادلة الكاملة ومع انطماسها لا معنى لتربية المخلصين تجاهها كما هو معلوم، وبذلك يتخلف شرطان من شرائط اليوم الموعود وهما:

الأول: وجود الأطروحة العادلة الكاملة التي تطبق في اليوم الموعود وجودها معلنة بين البشر.

الثاني: وجود العدد الكافي من المخلصين تجاه هذه الأطروحة الذين يشاركون في انجاز اليوم الموعود.

ومع تخلف الشرطين يكون التخطيط العام كله قد فشل، ولذا كان من الواجب تلافي الأمر أساسا لكي لا يحدث الفشل وذلك بإيجاد الصلح مع معاوية لأجل إحراز بقاء حاملي الأطروحة العادلة وبالتالي استمرارها ضمن الأجيال لتكسب المخلصين الممحصين بالتدريج.

بل انه طبقا للفهم الإمامي للفكرة المهدوية فان الشرط الآخر لليوم الموعود يكون منخرماً أيضاً وهو وجود القائد المؤهل لإنجاز الدولة العالمية، فانه بعد تعيينه - اعني المهدي - في شخص الإمام محمد بن الحسن بن علي عليه السلام وهو من ذرية الحسين عليه السلام نستطيع أن نتصور إن منازلة الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية لعنه الله كانت تعني الإجهاز عليه وعلى جميع تابعيه بما فيهم الإمام الحسين عليه السلام، وإذا قتل الإمام الحسين عليه السلام وذريته كان لا وجود لنسله بلا موضوع فينتفي الشرط الثالث أيضاً.

ومن هنا نستطيع ان نتصور الأهمية التخطيطية لهذا الصلح التاريخي العظيم إن المحافظة على الإمام الحسين عليه السلام نفسه كان مستهدفا في صلح أخيه عليه السلام، كما ان المحافظة على ولده علي بن الحسين عليه السلام خلال حرب كربلاء كان مستهدفا أيضا من التخطيط لكي ينتج - فيما ينتجه - إيجاد القائد المهدي عليه السلام كما إن الفكرة القائلة بان صلح الإمام الحسن عليه السلام كانت مقدمة لثورة الإمام الحسين عليه السلام، بمعنى أنها

وفرت لها الظروف الموضوعية هي فكرة صحيحة من ناحية تخطيطية فان الحفاظ على الجماعة المؤمنة من قبل الإمام الحسن المجتبى عليه السلام مكنها بعد بضع عشر سنوات أن تقوم بالمهمة الثورية بين يدي الحسين عليه السلام فتحظى آنئذ بنتائجها العظيمة من دون أن تتعرض للاستئصال لاتساع هذه الجماعة في ذلك الحين وبقاء الإمام علي بن الحسين عليه السلام نعم لقد كان هذا الصلح ثورة مهدت لثورة عاشوراء ولثورة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

موقف الإمام الحسن بعد وفاة أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام:

بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام اتخذ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام موقف الحزم تجاه معاوية لعنة الله عليه وكان الاستعداد متوفر لمواجهة معاوية من خلال بعض الأمور التي قام بها الإمام الحسن عليه السلام ومنها مضاعفة الأجور للمقاتلين وإعادة إصلاح وهيكلة الجيش وكان هذا الأمر مما يثير قلق ومتابعة معاوية الذي دس بالجواسيس لشراء الذمم من جهة ونقل إخبار معسكر الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية من جهة أخرى وهنا مما لم يغب عن ذهن الإمام عليه السلام فأمر بإحضار الرجل الحميري الجاسوس وضرب عنقه.

وكتب الإمام إلى البصرة وأمرهم باستخراج القيني من بني سليم وأمرهم بضرب عنقه[٩] ثم كتب الإمام عليه السلام إلى معاوية لعنة الله عليه "إما بعد فأنك دست إلي الرجال كأنك تحب اللقاء، لا اشك في ذلك فتوقعه إن شاء الله"[١٠].

وهذا يعني أمران بحسب الظاهر:

إن مسألة الحرب متوقعة في نظر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام سواء كانت في عصره او في زمن يليه وهذا ما كان يعنيه الإمام بحسب علمه الإلهي وبحسب ما دلّت عليه الروايات والوصية التي أوصى بها لولده القاسم عليه السلام.

فأما مسألة استعداده لمواجهة معاوية فقد ذكرت الإخبار والروايات ان معاوية وبعد شهادة إمام المتقين علي ابن أبي طالب عليه السلام بدأ يستنهض إتباعه وجيشه

ليسير بهم الى العراق فكتب الى بعض قادة الكوفة فأجابه البعض وطلب منه البعض الأخر الأمانة لأنفسهم فزحف معاوية مع من تبعه إلى العراق وتولى بنفسه قيادة الجيش وأناب عنه في عاصمته الضحاك بن قيس الفهري ويذكر ان عدد الجيش معه كان ٦٠ الف.... وبالمقابل فأن الإمام استنهض جيشه لمواجهة معاوية فخطب فيهم بالقول ((اما بعد فأن الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرهاً ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ فلستم - سائلين ما تحبون الا بالصبر على ما تكرهونه انه بلغني ان معاوية بلغه انا كنا ارفعنا المسير فتحرك لذلك فأخرجوا رحمكم الله الى معسكركم بالنخيلة...)) فسكتوا[11] ولكن ضيافة قادة الجيش المتخاذل كان لها الأثر في خذلان حركة الإمام ومواجهة العدو بل وانعكس الأمر على شخص الإمام عليه السلام تعنه حيث ظلم في ذكر دورة الجهادي الرافض لسياسة معاوية وتركيز البعض على جوانب محدده دون الالتفات الى الجوانب المتعددة. فلم يكن الإمام عليه السلام مبتعداً عن أداء واجبه العسكري ولكن توالي الخيانات هي التي دفعت الإمام عليه السلام الى الأمر الثانوي واتخاذه مبدأ الدفاع عن الدين من خلال الهدنة مع معاوية عليه اللعنة والعذاب. فعرض الأمر على الإمام عليه السلام من قبل وفد الشام المؤلف من المميزة ابن شعبة وعبد الله بن كريز وعبد الرحمن بن الحكم ولكن الإمام عليه السلام كان جوابه واضحاً ولم يعط من نفسه لما أراده معاوية منه. ان الإمام الحسن عليه السلام حارب الخطر الأموي الهادف الى السيطرة على الأمة الإسلامية وبالتالي نشر أفكارها المسمومة ودثر معالم الدين الحنيف. وذلك من خلال فرض شروط الصلح التي يمكن من خلالها دفع الضرر المحتمل عن امة جده رسول الله صلى الله عليه وآله فرأى الإمام بعد ان رأى خذلان قادة جيشه ان يترك معاوية في حكمه وبيان مدى فشله وحقده الدفين على الدين الإسلامي فرفع الغطاء عن الوجه الأموي باعتبار ان معاوية كان يدعي التدين وهذا ما عمل على إشاعته عندما احكم سيطرته على الشام وخوصاً في عهد الخليفة الثاني والثالث.

والحوادث التي قام بها معاوية سواء من خطبة مباشرة كما في قوله من خطبة ألقاها على جيش العراق الذي التحق بمعاوية في النخيلة فقام خطيباً بهم قائلاً ((يا أهل العراق إني والله لم أقاتلكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتزكوا ولا لتحجوا وانما قاتلكم لأتآمر عليكم وألي رقابكم، وقد آتاني اللّه ذلك وانتم كارهون!. ألا ان كل دم أصيب في هذه الفتنة مطلول، وكل شرط شرطته فتحت قدميّ هاتين))[١٢] فكانت هذه الخطوة الأولى لفضح مكر ودسائس بنو أمية إمام العالم اجمع. فكان الإمام الحسن المجتبى عليه السلام هو الفاضح والكاشف لحقيقة بنو أمية وكان الشهيد الإبر على ما تحمله في سبيل تحقيق هذا الهدف من طعن وشك في شخصه الكريم. فلم تكن تلك الكلمات التي تعرض لها بأقل من رص الخيول لجسد أخيه ابا الأحرار عليه السلام في ساحة ألطف. الأمر الأخر من المشاركة الحسينية في واقعة ألطف ان من ابرز أسباب الهدنة مع معاوية هو الحفاظ على الثلة المؤمنة التي التحقت فيما بعد بمعسكر ألطف تحت راية أبا الأحرار عليه السلام الأمر الأخر الذي مهد به الإمام الحسن عليه السلام لمعركة ألطف وأحقية أبا عبد الله عليه السلام هو ما ذكره في الشرط الثاني من شروط الهدنة وهو (أن يكون الأمر من بعده للحسن ثم للحسين عليهما السلام وان لا يعهد الى احد من بعده) واجمع المؤرخون على ان معاوية لم يف بالشرط هذا بل نقضه بجعل الولاية لابنه يزيد لعنة الله عليه من بعده[١٣] وهذا ما يشكل فقدان الشرعية ليزيد بنص وموافقة ابيه معاوية عليهما اللعنة والعذاب.

يتبين من خلال التأريخ ان المرحلة التي عاشها الإمام الحسن عليه السلام لم تكن مرحلة مواجهة سواء كان الإمام الحسن عليه السلام في الإمامة أو غيره من أئمتنا عليهم السلام فكلهم محمديون وكلهم حسينيون. بل وان الإمام الحسين عليه السلام مارس نفس الدور في الثبات على الهدنة ما دام معاوية في الحكم الأموي فقد استشهد الإمام الحسن عليه السلام سنة ٤٩ أو ٥٠ هـ. ومات معاوية سنة ٦٠هـ. وخلال كل هذه المدة كان الامام الحسين عليه السلام في القيادة والإمامة وكان هو الأمر لنا هي بالنسبة لمواليه الا انه لم يتحرك بخلاف ما قام به الامام الحسن عليه السلام في تعامله مع معاوية.

بل واكثر من ذلك فقد كتب اليه بعض شيعته بالقيام والثورة ضد معاوية الا ان الإمام الحسين عليه السلام امرهم بالصبر والانتظار والتقية. ذكر السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر قدس سره في كتابه شذرات من فلسفة تأريخ الحسين عليه السلام فقرة ((هل إن صلح الحسن مقدمة لثورة الحسين عليه السلام (وينبغي الالتفات هنا الى اننا لسنا مضطرين حسب القواعد الشرعية المعروفة ان نقول بهذه المقدمية بل يكفي فيه ما عليه المسلك التقليدي الامامي القديم من ان كل منهما قد رأى المصلحة في زمانه ومكانه المعنيين ان يقوم بما قام به. وان المصلحة تلقاها بالإلهام عن ربه او بالأمر من جده رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أجازها صلى الله عليه وآله في ذلك حين قال ((الحسن والحسين امامان ان قاما وان قعدا)) إذن فكل منهما قد أدى المصلحة الوقتية التي رآها في زمانه بغض النظر عن الآخرين.

المبحث الثالث

ضوء على حياة الإمام الحسن السبط عليه السلام

الإمام أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب المجتبى عليه السلام، ثاني أئمة أهل البيت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وسيّد شباب أهل الجنة بإجماع المحدّثين، وأحد اثنين انحصرت بهما ذريّة رسول الله، وأحد الأربعة الذين باهى بهم رسول الله صلى الله عليه وآله نصارى نجران، ومن المطهّرين الذين أذهب الله عنهم الرجس، ومن القربى الذين أمر الله بمودّتهم، وأحد الثقلين الذين من تمسّك بهما نجا ومن تخلّف عنهما ضلّ وغوى وقد نشأ في أحضان جدّه رسول الله عليه السلام وتغذّى من معين رسالته وأخلاقه ويسره وسماحته، وظلّ معه في رعايته حتى اختار الله لنبيه دار خلده، بعد أن ورّثه هديه وأدبه وهيبته وسؤدده، وأهّله للإمامة التي كانت تنتظره بعد أبيه، وقد صرّح بها جدّه في أكثر من مناسبة حينما قال: " الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا، اللهمّ إنّي أُحبّهما فأحبّ من يحبّهما"، ولقد اجتمع في هذا الإمام العظيم شرف النبوّة والإمامة، بالإضافة الى شرف الحسب والنسب، ووجد المسلمون فيه

ما وجدوه في جدّه وأبيه حتى كان يذكّرهم بهما، فأحبّوه وعظّموه، وكان مرجعهم الأوحد بعد أبيه، فيما كان يعترضهم من مشاكل الحياة وما كان يستصعبهم من أمور الدين، لا سيما بعد أن دخلت الأمة الإسلامية حياة حافلة بالأحداث المريرة التي لم يعرفوا لها نظيراً من قبل.

كما كان الإمام الزكي المجتبى في جميع مواقفه ومراحل حياته مثالاً كريماً للخُلق الإسلامي النبوي الرفيع في تحمّل الأذى والمكروه في ذات الله، والتحلّي بالصبر الجميل والحلم الكبير، حتى اعترف له ألدّ أعدائه ـ مروان بن الحكم - بأنّ حلمه يوازي الجبال. كما اشتهر عليه السلام بالسماحة والكرم والجود والسخاء بنحو تميّز عن سائر الكرماء والأسخياء

وبقي الإمام المجتبى بعد جدّه في رعاية أُمّه الزهراء - الصدّيقة الطاهرة - وأبيه سيّد الوصيّين وإمام الغرّ المحجّلين، وهما في صراع دائم مع الذين صادروا خلافة جدّه صلى الله عليه وآله وما لبث أن طويت هذه الصفحة الثانية من حياته بوفاة أُمّه الزهراء عليها السلام وقد حفّت بأبيه علي بن أبي طالب عليه السلام النكبات، ولا زال يشاهد كلّ هذه المحن ويتجرّع مرارتها وهو في سن الطفولة، لكنّه كان يقوم بأكثر ممّا ينتظر من مثله، من حيث وعيه وإحساسه بالأوضاع العامة وتطوّراتها، ومن هنا كان يتمتّع بتقدير المسلمين واحترامهم له بعد ما شاهدوا مدى اهتمام نبيّهم به، وأشرف الإمام عليه السلام على الشباب في خلافة عمر، وانصرف مع أبيه الى تعليم الناس وحلّ مشاكلهم.

وقد وقف الإمام الحسن الزكي الى جانب أبيه عليه السلام في عهد عثمان، وعمل مخلصاً لأجل الإسلام، واشترك مع أبيه في وضع حدٍّ للفساد الذي أخذ يستشري جسم الأُمّة والدولة الإسلامية أيام عثمان، ولقد كان الإمام عليّ عليه السلام - كغيره من الصحابة - غير راض عن تصرفات عثمان وعمّاله، ولكنّه لم يكن راض بقتله، فوقف هو وابناه موقف المصلح الحكيم، ولكنّ بطانة عثمان أبت إلاّ التمادي في إفساد الأمر والتحريض غير المباشر على قتله، بينما بقي الإمام يعالج الموقف في حدود ما أنزل الله تعالى.

لقد كان الحسن بن عليٍّ السبط الى جانب أبيه عليهما السلام في كلّ ما يقول ويفعل، واشترك معه في جميع حروبه، وكان يتمنّى على أبيه أن يسمح له بمواصلة القتال وخوض المعارك عندما يتأزّم الموقف، فيما كان أبوه شديد الحرص عليه وعلى أخيه الحسين عليهما السلام خشية أن ينقطع بقتلهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله، وبقي الحسن عليه السلام الى جانب والده إلى آخر لحظة، وكان يعاني ما يعانيه أبوه من أهل العراق، ويتألّم لآلامه وهو يرى معاوية يبثّ دعاته ويغري القادة من جيش أبيه بالأموال والمناصب حتى فرّق أكثرهم، وأصبح الإمام عليّ عليه السلام يتمنّى فراقهم بالموت أو القتل، فاستُشهد عليه السلام وبقي الحسن ابن علي عليهما السلام بين تلك الأعاصير بين أهل الكوفة المتخاذلين وفلول الخوارج المارقين وتحدّيات أهل الشام القاسطين.

وبعد أن نصّ أمير المؤمنين عليه السلام على خلافة ابنه الحسن الزكي وسلّمه مواريث النبوّة؛ اجتمع عليه أهل الكوفة وجماعة المهاجرين والأنصار، وبايعوه بالخلافة، بعد أن طهّره الله من كلّ نقص ورجس، بالإضافة الى توفّر جميع متطلّبات الخلافة فيه من العلم والتقوى والحزم والجدارة، وتسابق الناس الى بيعته في الكوفة والبصرة، كما بايعه أهل الحجاز واليمن وفارس وسائر المناطق التي كانت تدين بالولاء والبيعة لأبيه عليه السلام وحين بلغ نبأ البيعة معاوية وأتباعه بدأوا يعملون بكلِّ ما لديهم من مكر وخداع لإفساد أمره والتشويش عليه.

واستلمَ الإمام الحسن السلطة بعد أبيه، وقام بأفضل ما يمكن القيام به في ذلك الجوّ المشحون بالفتن والمؤامرات، فأمّر الولاة على أعمالهم وأوصاهم بالعدل والإحسان ومحاربة البغي والعدوان، ومضى على نهج أبيه عليه السلام الذي كان امتداداً لسيرة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وبالرغم ممّا كان يعلمه الإمام الحسن من معاوية ونفاقه ودجله وعدائه لرسالة جدّه وسعيه لإحياء مظاهر جاهليته... بالرغم من ذلك كلّه فقد أبى أن يعلن الحرب عليه إلاّ بعد أن كتب اليه المرّة بعد المرّة يدعوه الى جمع الكلمة وتوحيد أمر المسلمين، فلم يُبقِ له في ذلك عذراً أو حجةً.

لقد راسل الإمام الحسن معاوية وهو يعلم أنه لا يستجيب لطلبه، وأنّه سيقف منه موقفاً أكثر وقاحةً من مواقفه السابقة مع أبيه أمير المؤمنين، لاسيما وقد حصد نجاحاً مؤقّتاً في مؤامراته ضدّ أبيه. إنّ الإمام عليه السلام كان يعلم أنّ معاوية سيقف موقف القوة إن لم يجد للمكر سبيلاً، ولكنّ الإمام المجتبى كان عليه أن يُظهر للعالم الإسلامي كلّ ما يضمره هذا البيت الأُموي تجاه النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام من حقد وعداء وكيد للإسلام والمسلمين.

واطمأنّ معاوية الى أنّ الأمور ممهّدة له باعتبار علاقته المتينة مع أكثر قادة الإمام الحسن عليه السلام، كما حاول إغراء الإمام بالأموال والخلافة من بعده وتضليل الرأي العام، ولكنّ موقف الإمام لم يتغيّر لتهديده ووعوده، وأدرك معاوية صلابة الإمام عليه السلام على موقفه المبدئي، فأعدّ العدّة لمحاربته، واطمأنّ معاوية الى أنّ المعركة ستكون لصالحه، وسيكون الحسن عليه السلام والمخلصون له من جنده بين قتيل وأسير، ولكنّ هذا الاستيلاء سوف يفقد الصيغة الشرعية التي كان يحاول أن يتظاهر بها لعامة المسلمين، ولذلك حرص معاوية على أن لا يتورّط في الحرب مع الإمام الحسن عليه السلام معتمداً المكر والخداع والتمويه وشراء الضمائر وتفتيت جيش الإمام عليه السلام، ولم يكن للإمام بدّ من اختيار الصلح بعد أن تخاذل عامة جيشه وأكثر قادته، ولم يبقَ معه إلاّ فئة قليلة من أهل بيته والمخلصين من أصحابه، فتغاضى عن السلطة دفعاً للأفسد بالفاسد في ذلك الجوّ المحموم، فكان اختياره للصلح في منتهى الحكمة والحنكة السياسية الرشيدة تحقيقاً لمصالح الإسلام العليا وأهدافه المُثلى.

كما تعرّض الإمام الحسن السبط عليه السلام للنقد اللاذع من شيعته وأصحابه الذين لم يتّسع صبرهم لجور معاوية، مع أنّ أكثرهم كان يدرك الظروف القاسية التي اضطرّته الى تجنّب القتال واعتزال السلطة، كما أحسّ الكثير من أعيان المسلمين وقادتهم بصدمة عنيفة لهذا الحادث لِما تنطوي عليه نفوس الأمويين من حقد على الإسلام ودعاته الأوفياء، وحرص على إحياء ما أماته الإسلام من مظاهر

الجاهلية بكلّ أشكالها.

ولكنّ الإمام بصلحه المشروط فسح المجال لمعاوية ليكشف واقع أطروحته الجاهلية، وليعرّف عامة المسلمين البسطاء مَن هو معاوية ؟ ومن هنا كان الصلح نصراً ما دام قد حقّق فضيحة سياسة الخداع التي تترّس بها عدوّه.

ونجحت خطّة الإمام حينما بدأ معاوية يساهم في كشف واقعه المنحرف، وذلك في إعلانه الصريح بأنّه لم يقاتل من أجل الإسلام، وإنّما قاتل من أجل المُلك والسيطرة على رقاب المسلمين، وأنّه سوف لا يفي بأيّ شرط من شروط الصلح.

بهذا الإعلان وما تلاه من خطوات قام بها معاوية لضرب خط عليٍّ عليه السلام وبنيه الأبرار وقتل خيرة أصحابه ومحبّيه كشف النقاب عن الوجه الأموي الكَريه، ومارس الإمام عليه السلام مسؤولية الحفاظ على سلامة الخط بالرغم من إقصائه عن الحكم، وأشرف على قاعدته الشعبية فقام بتحصينها من الأخطار التي كانت تهدّدها من خلال توعيتها وتعبئتها، فكان دوره فاعلاً إيجابياً للغاية، ممّا كلّفه الكثير من الرقابة والحصار، وكانت محاولات الاغتيال المتكرّرة تشير الى مخاوف معاوية من وجود الإمام عليه السلام كقوة معبّرة عن عواطف الأُمّة ووعيها المتنامي، ولربّما حملت معها خطر الثورة ضد ظلم بني أُمية، ومن هنا صحّ ما يقال من أنّ صلح الإمام الحسن عليه السلام كان تمهيداً واقعياً لثورة أخيه أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وتوّج الإمام المجتبى عليه السلام جهاده العظيم هذا والذي فاق الجهاد بالسيف في تلك الظروف العصيبة، باستشهاده مسموماً على يد ألدّ أعدائه، فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يُبعث حيّاً.

الدراسات السابقة:

تم التطرق الى هذا الموضوع من قبل العديد من الكتّاب والمؤرخين والمؤلفين والمختصين في الشؤون الإسلامية وذلك منذ نشوء الرسالة الإسلامية حيث تعد

هذه الكتابات بالعشرات اذا لم نقل بالمئات لذلك سأتطرق الى ثلاث من هؤلاء الذين كتبوا عن شخصية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.ونذكر منهم الشيخ الطبرسي والدكتور فيليب حتي والراهب اليسوعي لامنس المتخصص بالتاريخ الإسلامي.

ذكر الشيخ الطبرسي (٢٠٧ - ٢٠٨ هجري) (إعلام الورى بأعلام الهدى): في إمامة الحسن المجتبى عليه السلام. حيث قال: يكفي في ذلك ما صرّح به النبيّ صلى الله عليه وآله من قوله: "هذان ابناي إمامان قاما أو قعدا".

وروت الشيعة بطرقهم عن سليم بن قيس الهلالي قال: شهدت أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى الى ابنه الحسن عليه السلام وأشهد على وصيته الحسين عليه السلام ومحمّداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثمّ دفع اليه الكتاب والسلاح وقال له: ((يا بني إنّه أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أوصي إليك، وأدفع إليك كتبي وسلاحي، كما أوصى إليّ ودفع إليّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك اذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين، ثمّ أقبل على ابنه الحسين عليه السلام فقال: وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها الى ابنك هذا، ثمّ أخذ بيد علي بن الحسين وقال: وأمرك رسول الله أن تدفعها الى ابنك محمّد بن علي فاقرأه من رسول الله ومنّي السلام.

أما المستشرق الدكتور فيليب حتي فقد ذكر: ان الحسن الذي كان يميل إلى الترف والبذخ لا إلى الحكم والإدارة لم يكن رجل الموقف فانزوى عن الخلافة مكتفيا بهبة سنوية منحه إياها معاوية"[١٤]. وهو بهذا الكلام استند الى الرواة والكتاب والمؤرخين الموالين لسياسة معاوية.

أما الراهب اليسوعي لامنس المتخصص بالتاريخ الإسلامي[١٥] فقد ذكر: كون الحسن هو اكبر أبناء علي من فاطمة بنت رسول الله... ويلوح ان الصفات الجوهرية التي كان يتصف بها الحسن هي الميل الى الشهوات والافتقار الى النشاط والذكاء. ولم يكن الحسن على وفاق مع أبيه وإخوته عندما ماتت فاطمة ولما

تجاوز الشباب. وتوفي الحسن في المدينة بذات الرئة ولعل إفراطه في الملذات هو الذي عجل بمنيته[١٦]. وهذا المستشرق ايضا اعتمد على مصادر الكتاب والرواة الموالين لمعاوية.

المستخلص:

من المعروف أن الإمام الحسن السبط عليه السلام قد كان مثالاً وأنموذجا يحتذى به وتضرب به الأمثال للسلم والسلام في عموم الكرة الأرضية منذ انبثاق الإسلام، وقد شهد له بذلك الأعداء قبل الأصدقاء من اللذين لا يمتلكون ضمائر حية من الكتّاب والمؤلفين والمختصين في هذا الشأن كون ان الإمام أبو محمد الحسن المجتبى هو ثاني أئمة أهل البيت عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة بإجماع المحدثين، واحد الاثنين اللذين انحسرت بهما ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله، واحد الأربعة اللذين باها بهم رسول الله صلى الله عليه وآله نصارا نجران، ومن المطهرين اللذين اذهب الله عنهم الرجس، ومن القربى اللذين أمر الله بمودتهم، واحد الثقلين الذي من تمسك بهما نجا ومن تخلف عنهما ضل وغوى. وبعد التحاق الرسول محمد صلى الله عليه وآله الى الرفيق الأعلى، اخذ ذلك المسير المنظم بالانحراف، بعد أن ترك الناس احد الثقلين اللذين أوصى بهما رسول الله صلى الله عليه وآله حينما قال "إني تارك فيكم الثقلين ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي"، وقد تصور المجتمع بساطة هذا الانحراف غافلاً من انه سيؤدي إلى كارثة عظيمة فالأمة التي كان لابد لها أن تبقى أفضل الأمم سرعان ما انحرفت في هذا الامتحان- امتحان الخلافة - وتبدلت تلك الافتخارات إلى حقيقة مخوفة سعى بسببها المليارات من الناس نحو الظلام.

ومع غروب شمس النبوة المشرقة، اختطفت السلطة من صاحبها الأصيل، وتسلمها بنو أمية ظلماً وعدواناً، مع إن الإسلام ما اخضر عوده إلا بجهاد وتضحية بني هاشم.

وعندما تسلم أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة جرى ماء الحياة من جديد في تلك الجذور المتخشبة لهذه الشجرة المقدسة ولكن لم تمضِ سوى فترة إلا وغيبت الشموس الزاهرة فحرمت البشرية من أن تحيا بسعادة في ظل حكم أهل البيت عليهم السلام فبعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام كان لابد أن تكون الخلافة لأبي محمد الحسن المجتبى عليه السلام الذي سعى للحفاظ على دين الإسلام من جهة العمل ضمن نطاق سياسة إلهية مهمة تتضمن بيان الحقيقة للناس بفضح بني أمية وعلى رأسهم معاوية لعنه الله.

ولابد لنا من القول أن أهل البيت عليهم السلام لا يمارسون قياداتهم للمجتمع ومواجهة الانحراف بنسق واحد وطريقة واحدة لان كل إمام منهم يواجه ظروفاً مختلفة تحكم بالضرورة لانتهاج ما يراه الإمام مناسباً وبالتالي فان هدف الأئمة عليهم السلام هدف واحد ومنهجهم في العمل السياسي والاجتماعي ايضا منهج واحد، وان الأئمة هم حجج الله على أرضه وكل عمل يقوم به احدهم هو بأمر الله تعالى وفي صالح الإسلام والمسلمين.

وقد يفصل البعض بين نهضة عاشوراء التي قام بها سيد الشهداء عليه السلام وبين الصلح الذي عقده الإمام الحسن المجتبى عليه السلام مع معاوية رغم إنهما كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله " الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا "، فالإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام لم تكن أهدافهما مختلفة أبدا ولكن كل منهما قام بحسب ما تقتضيه شرائط زمانه، ولابد من القول أن موقف الإمام الحسن المجتبى عليه السلام كان صعباً وحساساً أكثر من دور سيد الشهداء عليه السلام لأن مسؤولية الإعداد أصعب من تفجير الثورة والقيام المسلح لأن الشخص الذي يريد بناء وتربية جيل على المفاهيم الصحيحة فبدون شك وتردد لابد أن يلاقي صعوبات عديدة، فهو يحتاج إلى برنامج منظم وزمان طويل ومخطط دقيق على المدى البعيد والكوادر الصالحة والتقية والاحتياط من اجل المحافظة على هذا الجيل في حال الإعداد والبناء وعوامل البقاء خلال عشرين أو ثلاثين سنة أو أكثر، وأخيرا فهو بحاجة للاستعداد

الكامل لتحمل الكلمات الجارحة والبعد عن كل مدح وثناء ومن هنا يعرف مدى أهمية مسؤولية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ودوره العظيم، فانه يشكل القسم المهم من النهضة المباركة وان رسالته ورسالة أخيه الحسين عليه السلام كانت واحدة ولكن تتشكل من قسمين ولعل هذا من أسباب ما ورد من قول الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء حين قال: (وأخي خير مني)،لان الإمام الحسن المجتبى عليه السلام كان عليه أن يهيئ الأرضية الصالحة للنهضة المباركة وان الإمام الحسين عليه السلام قام بتلك النهضة الحقة من خلال تمهيد الإمام الحسن عليه السلام له باتخاذ الموقف المناسب.

Abstract

It is known that Imam Hassan tribe (peace be upon him) has been an example and a model by the proverbial peace and peace across the globe since the emergence of Islam has seen him so enemies before friends who do not have a living conscience of the book, authors and experts in this regard as the Imam Abu Muhammad al-Hasan Mujtaba second Ahlulbait (peace be upon them) after the Messenger of Allah (Allah bless him and his family) and the master of the youth of Paradise unanimous modernists, one the two receded their offspring Messenger of Allah (Allah bless him and his family), four and one who Baja their The Messenger of Allah (Allah bless him and his family) Nsara Najran, and cleansers who go their abomination of God, and kin who God is Bmodthm, one of the two races that stuck with them survived and backwardness them astray and seduce. After admission to the Prophet Muhammad (may Allah bless him and his family) to the higher ranks, taking the march organizer deviation, after people leave one of the two races, which recommended by the Messenger of Allah (Allah bless him and his family) when he said, "I am one who does not in you Althaglin what that Thompsktm them will not go astray

هوامش البحث ومصادره

(١) سورة الرعد /٣٩.
(٢) كتاب التوحيد/الجزء الرابع/باب البداء والنسخ ص٩٧.
(٣) سورة الحجر/٩.
(٤) شرح النهج ج ٤ ص ١٦.
(٥) أعلام الدين للديلمي.
(٦) الاحتجاج ص ١٤٨ /الجزء الرابع والأربعون.
(٧) الاحتجاج للطبرسي ج٢ ص٢٩٠.
(٨) كشف الغمة للاربلي (٦٩٣هـ) ج٢ ص١٩٣.
(٩) (مقاتل الطالبين ٣٢).
(١٠) (مقاتل الطالبين ٣٢).
(١١) (مقاتل الطالبين ٣٩)،(اعلام الهداية ص ١٣٧).
(١٢) الإرشاد للمفيد ٢ \ ١٤.
(١٣) (صلح الإمام الحسن ١٤٢).
(١٤) العرب ص٧٨.
(١٥) قال عبد الرحمن بدوي في موسوعته عن المستشرقين، لامنس: مستشرق بلجيكي، وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام، يفتقر افتقاراً تاماً إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها. ويعد نموذجاً سيئاً جداً للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين.
(١٦) الموسوعة الإسلامية أشرف على تأليفها فنسنك وآخرون وكتبت باللغة الانكليزية وترجمت إلى الفرنسية والألمانية ثم ترجمت إلى اللغة العربية ونحن ننقل من النسخة العربية ج٧/٤٠١٤٠٢.